بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ.د. عبدالله الزايد
أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾

الحمد لله رب العالمين، نستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. ونصلي ونسلم على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه. ثم أما بعد:

فإن أصل هذا الكتاب ورقة صغيرة تقدم بها الأخ الكاتب إلى ندوة "مستجدات الفكر الإسلامي" الثانية التي عقدت في الكويت عام 1992م، وقد أثارت الورقة نقاشا كبيرا داخل الندوة وخارجها وعقب عليها الكثير من المشاركين فقام الأخ المؤلف . حفظه الله . بتطوير الورقة و تعديلها والإضافة عليها، لكنها لم تنشر بصفتها المعدلة. ويبدو أن ملخصا لأفكارها كان قد نشر باللغة الانكليزية فلفت أنظار بعض المفكرين في الخارج. وأثناء زيارة المؤلف لماليزيا صيف عام 1994م دعاه نائب رئيس الوزراء معالي الأستاذ/ أنور إبراهيم لإلقاء محاضرة عامة يتناول المؤلف فيها أهم القضايا التي يرى أن الحركات الإسلامية تحتاج إلى مراجعتها في برامجها، وذلك في أهم مركز ثقافي في عاصمة ماليزيا(I.K.I.M)وفي فترة حرجة في تاريخ ماليزيا حيث كانت هناك "منظمة دار الأرقم" الواسعة الانتشار في جنوب شرقي آسيا تتعالى أصواتها في الدعوة إلى تأييد رئيسها وزعيمها الماليزي الذي ادعى أنه وكيل المهدي المنتظر أو نائبه الذي سيقوم باستقباله وتسليم الراية له.

وقد دعى لحضور المحاضرة مائتان وخمسون من كبار رجال الفكر والدعوة وأساتذة الجامعات في ماليزيا، وفي مقدمتهم معالي نائب رئيس الوزراء وزير المالية بنفسه الذي رأس الجلسة وقدم المحاضر إلى جمهور المستمعين وعقب على المحاضرة بعد الفراغ منها.

هذا والمحاضرة تتألف من مقاطع ثلاثة: أولها: في بيان أهم خصائص الإسلام والتذكير بها ليستطيع العاملون في الحقل الإسلامي إعادة النظر في خطابهم وبرامجهم على ضوء منها. أما المقطع الثاني: فقد كرس لبيان ما اعتبر أبعادا غائبة على سبيل الإجمال. وأما المبحث الأخير: أو الخاتمة فقد حاول فيه المؤلف . جزاه الله خيرا . أن يقدم خلاصة لموضوع البحث وتوضيحا لأهم قضاياه. وقد اشتملت المحاضرة الكتيب إضافة لذلك . على موضوعات هامة متنوعة يمكن أن يكون كل منها موضوع محاضرة أو حوار أو ندوة متخصصة. فالرسالة التي بين أيدينا إذن . ورقة عمل شاملة لا شك أنها كبيرة الفائدة للدعاة حاملي الهم الإسلامي، وقد يتفق البعض مع الكاتب الكريم في كل ما اثاره، وقد يختلفون معه في بعض ما توصل إليه، ولكن ذلك كله لا يقلل من خطورة واهمية النقاط المطروحة، التي جرى تداولها وتناولها بدقة تقف وراءها خبرة الكاتب ومعاناته الطويلة في دوائر العمل الإسلامي المختلفة ومستوياته المتنوعة. ولذلك فإن الأمل كبير بأن تكون روح الإخلاص التي أملت إعدادها على مؤلفيها عاملا حسنا في حسن فهمها، واستقبال قضاياها. ورحم الله امرؤاً أهدى إليّ عيوبي. جزى الله أخانا الدكتور طه جابر العلواني كل خير ونفع به إنه ولي التوفيق.

وللمؤلف وفقه الله لصالح العمل من الجهود الخيرة الشيء الكثير خاصة في مجال الكتابة والتأليف، فمن ذلك:

1. تحقيق كتاب (المحصول في أصول الفقه) الذي قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . مشكورة . بطباعته ونشره في ستة مجلدات، ثم عادت مؤسسة الرسالة طباعته طبعة ثانية.

2. أدب الاختلاف فب الإسلام. وقد تم ترجمته إلى لغات عديدة وطبع طبعات عدة.

3. الاجتهاد والتقليد.

4. ابن تيمية وإسلامية المعرفة.

5. أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة.

6. إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات.

هذا بالإضافة إلى العديد من البحوث والمقالات.

ويسرني أن أقدمه لقراء الضاد من خلال محاضراته القيمة هذه التي تحولت إلى بحث علمي مفيد بإذن الله.

ولقد كانت لي زمالة كريمة بالمؤلف في كلية الشريعة بقسم أصول الفقه لسنوات عرفت فيه غيرته الدينية وصفاء عقيدته التوحيدية فجزاه الله خيرا على ما قدم وما سيقدم من بحوث ومؤلفات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

opeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. ثم أما بعد:

فإن السامع والقارئ "للخطاب الإسلامي المعاصر" يبدو له هذا الخطاب للوهلة الأولى "خطابا جغرافيا إقليميا أو قوميا في بعض الأحيان". وفي بعض الأحيان يبدو خطابا قانونيا جل همه ينحصر في بيان سلامة مواد القانون الذي يدعو لتبنيه، وضرورتها وترابطها، وسلامة منطلقاتها التشريعية. وفي أحيان أخرى، يبدو هذا الخطاب الإسلامي وكأنه خطاب يعبر عن برنامج سياسي لفئة من الفئات نتقدم به إلى الناخبين ليقبلوه فيمنحوا المتقدمين به الثقة. أو يرفضوه فيخذلوهم. والإسلام . في حقيقته . أجلّ وأعظم وأعلى وأعز واكبر من أي إقليم أو قوم أو قضية، أو برنامج وإن كان يتجلى وينعكس على قوم أو أرض أو قضايا أو برامج، ولكن يبقى ما يتجلى منه مجرد انعكاس لبعض أنواره ولشيء من حقائقه التي لا يحيط بها إلا الله تبارك وتعالى.

إن التفاوت الشديد في صياغة الخطاب الإسلامي شكلا ومضمونا سرعان ما يكشف لمتلقي ذلك الخطاب عن التفاوت والاختلاف والاضطراب الشديد لدى حملة هذا الخطاب، وصياغته في التصورات والمنطلقات والأولويات فضلا عن الأهداف والغايات. ولولا وجود القرآن المجيد نصا محفوظا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لبلغ التمزق غايات تجعل من عودة الإئتلاف إلى هذه الأمة ضربا من الخيال. فالخطاب الماضوي يكاد يحصر الإسلام كله في معالجة ما يعتبره انحرافا عن العقيدة .كما يتصورها رموز هذا الخطاب، وكما تداولوها فيما بينهم . وهنا لا ينظر صاغة هذا الخطاب إلى "العقيدة" باعتبارها القاعدة والمنطلق لسائر أفكار وتصورات ومنطلقات الإنسان المسلم كما لا ينظر إليها باعتبارها الجواب الشافي عن "الأسئلة النهائية" أو الحل الأكبر للعقدة الكبرى كما يقول الفلاسفة.

وكذلك لا ينظر إليها باعتبارها رؤية كلية للخالق جل شأنه! وللكون والإنسان والحياة بمقتضاها وانطلاقا منها ينبغي أن تصاغ كل نظم الحياة، وكذلك لا ينظر

إلى هذه العقيدة باعتبارها القاعدة الأساس للنظام المعرفي الإسلامي بل يقتصر دورها . عند هؤلاء . في إطار ما ارتبط في أذهان البعض منهم من صراعات بين الفرق في في بعض مراحل الواقع التاريخي، وهي الصراعات التي لا يزال العقل المسلم والتراث الإسلامي يعانيان من آثارها السيئة.

فإذا صوبنا الأنظار تلقاء الخطاب السياسي وجدناه في بعض صوره خطابا يكاد يحصر كل مشاكل العالم بعدم "وجود خليفة يطبق الأحكام ويقيم الحدود". وهذا الخطاب يكاد يتجاهل أن الخلافة لم تغب عن الساحة الإسلامية غيابا كاملا . حسب مفهوم هؤلاء . إلا في مارس عام 1924م. أما في العصور السابقة لذلك فإن هؤلاء يؤكدون على أنها كانت موجودة وقائمة ولو في الجانب القضائي وبعض جوانب المعاملات.

وهناك خطاب سياسي آخر يرى الإسلام . كله . سيتحقق على سبيل التدرج أو دفعة واحدة بمجرد وصول أصحاب ذلك الخطاب إلى السلطة وتمكنهم منها.

وهناك الخطاب التربوي على المستوى الفردي أو الجماعي وهو خطاب يكاد يحصر المشاكل في الانحرافات التربوية والحلول في معالجة تلك الانحرافات والعناية بالتربية وصفاء النفس وتنقية الوجدان.

وهناك الخطاب الدعوي الذي يهمه الانتشار الأفقي والعددي للجماعات باعتبار أن النظر إلى الكثرة والامتداد يسبق النظر إلى السنن الكونية والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والاقتصادية وسائر التحولات النوعية لدى أصحاب هذا الخطاب.

وهناك أنواع أخرى متعددة للخطاب الإسلامي. ولو أن هذه الخطابات المتعددة أدركت ما بينها من أواصر وسعت إلى إنماء المشتركات والتنسيق والتكامل لما كان هناك ما يستدعي الخوف والقلق، ولكن كثيرا من صاغة الخطابات الإسلامية هذه يقدمون خطابهم باعتباره الخطاب الإسلامي العام الشامل، وأحيانا يصوبون خطابهم وحده ويخطئون سائر الخطابات الأخرى وفي ذلك ما فيه.

ونحن . في هذه العجالة . لا نريد أن يُتَجاهل فضل أي من هذه الخطابات أو أصحابها، أو ينسى أثرها في مراحل معينة من مراحل صياغتها والمناداة بها، وبخاصة مرحلة التحرر من سيادة المحتلين واستعادة الهوية ولكننا نود أن نشير إلى

أن الخطاب الذي قد يكون فعالا في مرحلة ما ليس بالضرورة أن يكون فعالا في جميع المراحل، ولا مع سائر أنواع المخاطبين ولكي يتنبه إلى ضرورة إعادة بناء وتشكيل الخطاب الإسلامي المعاصر المناسب الفعال لا بد من ملاحظة خصائص الرسالة الإسلامية الخاتمة التي يحاول هذا الخطاب أن يكون تعبيرا عنها واتخاذ هذه الخصئص بمثابة المحددات المنهاجية التي ينبغي الرجوع إليها من حين لآخر للتأكد من أن الخطاب لا يزال بمثل لسان صدق لتلك السلة والتعبير الفاعل عن أهدافها ومقوماتها والتأكد منأن جميع الأبعاد المتعلقة بتلك الرسالة متضمنة في ذلك الخطاب ومعبرة عنها بشكل منسب. ولنأخذ مثلا منواقعنا التاريخي بذلك الخطاب الوجيز الذي صاغه ربعي بن عامر رضي الله عنه حين أجاب رستم وقادة الفرس عنسببقدومهم إلى بلاد الفرس غزاة مقاتلين هذه المرة وأشار إلى ما لاحظوه من تغيير طرأعلىطبيعة العرب لم يعرفوا أسبابه،وحين فكروا بها لم يجدوا أمامهم من التفسير لتلك الحالة الجديدة والظواهر المحيطة بها إلا التفسير المادي.

إن من يتأمل ما قاله ربعي بن عامر رضي الله عنه وصحابة آخرون وهم يشرحون لقيادة الفرس سبب مجئ المسلمين إلى بلاد فارس يجد بوناً شاسعاً بين فهم الصدر الأول لطبيعة الرسالة وخصائص الخطاب، وبين فهم من جاء بعدهم. وحين تطوى فترات الزمن لنصل إلى عصرنا الحاضر يبدوا لنا واضحا ضعف هذا الخطاب، وعجزه عن الإقناع والتفسير، وإثارة الإهتما. فخطاب ربعي والآخرين يدل دلالة واضحة على أن القوم يدركون تماما طبيعة رسالتهم، وخواصها وسائر محدداتها، وفي الوقت نفسه ينبه ذلك الخطاب بمتانته ورصانته ووحدة قضاياه، واتفاق حملته في تقديم مايقدم وتأخير ما يؤخر إلى وحدة منطلقات القوم، ووحدة تصورهم الإسلامي في خصائصه ومقوماته. أخرج الطبري(1) قي تاريخه أن رستم قال لزهرة حين أتاه: " أنتم جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا فكنا نحسن جوارهم ونكف الأذى عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة ونحفظهم في أهل باديتم فنرعيهم مراعينا ونميرهم من بلادنا ولا نمنعهم من التجارة منشيء من أرضنا " وقد كان لهم في ذلك معاش يعرض لهم بالصلح وإنما يخبره بصنيعم والصلح يريد ولايصرح فقال له زهرة: " صدقت قد كان ماتذكر وليس أمرنا ألئك ولا طلبتنا طلبتهم، إنا لم نأتكم لطلب

الدنيا إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة كنا كما ذكرت يدين لكم منورد عليكم منا ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم، ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً فدعانا إلى ربه فأجبناه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ، ولا يعتصم به أحد إلا عزّ، فقال له رستم: "وما هو ؟ قال: "أمّا عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله تعالى،قال:ما أحسن هذا.وأي شيء أيضا ؟"

قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى" قال: حسن وأي شيء أيضا؟ قال: والناس بنو آدم وحواء أخوة لأب وأم. قال: ما أحسن هذا، ثم قال له رستم: أرأيت لو أني رضيت بهذا الأمر وأجبتكم إليه ومعي قومي كيف يكون أمركم أترجعون. قال: إي والله ثم لا نقرب بلادكم أبدا إلا في تجارة أو حاجة. قال: صدقتني والله أما أن أهل فارس منذ ولى أزدشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم تعدّوا طورهم وعادوا أشرافهم، فقال له زهرة: نحن خير الناس للناس فلا نستطيع أن نكون كما تقولون نطيع الله في السفلة ولا يضرنا من عصى اله فينا. فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فحُمُوا من ذلك وأنفوا فقال: أبعدكم الله وأسحقكم أخزى الله أخرعنا وأجبنا".

ويذكر الطبري أن ربعي بن عامر قد أشار على سعد . وكان قد دعا مجموعة من خيرة رجاله لإيفادهم إلى رستم . أن لا يبعث إلا واحدا فكلفه سعد بأن يذهب وحده لمخاطبة رستم. وبعد أن عرض الطبري كثيرا من التفاصيل حول طريقة دخوله ذكر الحوار الذي دار بينه وبين رستم وفيه تتجلى طريقة ربعيّ في فهم خطاب الرسالة الخاتمة وعناصره الأساسية وكيفية مخاطبة الناس به. فحين وجه إليه رستم سؤاله قائلا: ما جاء بكم؟ قال:الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ومن أبي قتلناه أبدا حتى نُفضي إلى موعود الله" فبدأ

التأثر على رستم وطلب إمهاله حتى يشاور أهل فارس. وأشار الطبري في أكثر من موقع أن رستم حاول إقناع القادة الفرس بقبول الإسلام خاصة وأن ما سمعه من ربعي يقدم حلولا لمشكلات الأمة الفارسية آنذاك، لكن قومه رفضوا كبراً وغروراً وتعالياً فسايرهم في ما وصلوا إليه حذر الشقاق والمخالفة وهو من هو في مركزه وسلطته. فانظر كيف يمكن للخطاب أن يحدث من الأثر ما تعجز وسائل كثيرة أخرى عن إحداثه. وفي القصة بطولها كما يرويها الطبري وابن كثير، كثير من الفوائد التي تستحق التأمل.

وكما أوضح أخي فضيلة الأستاذ الدكتور **عبدالله الزايد** في مقدمته كان أصل هذا الكتيب محاضرة عامة وقعت في فقرات أو مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: حاولنا التذكير بأهم خصائص ومقومات "**رسالة الإسلام الخاتمة**" شرعا ومنهاجا إلى البشرية كافة لتكون قاعدة ومنطلقا لنا في معرفة ورصد ما اعتبرناه "**أبعاد غائبة**" عن فكرنا "**الحركي الإسلامي**" لأسباب كثيرة منها: تكاثر الهموم، وتكالب الخصوم، والفصامات الكثيرة بين الأمة وقادتها من ناحية، وبين الفقيه والسلطان من ناحية أخرى، وبين الفقيه والمفكر من ناحية ثالثة، وبين العلم والعمل من ناحية رابعة. إضافة إلى الحلقات المفقودة سواء في مجال الفكر والثقافة والمعرفة، أو السلوك والعمل، أو التربية والتعليم، أو مجالات الحياة الأخرى.

أما المبحث الثاني: فقد حاولنا فيه ذكر بعض ما اعتبرناه "**أبعاد غائبة**" ونحن . هنا . لا نعني أنها غائبة تماما، كما لا نقصد أنها غائبة عن الجميع، بل قصدنا بذلك أن آثارها ليست ظاهرة أو بارزة بالقدر الكافي في "**الخطاب الحركي الإسلامي**" كما أن آثارها في برامج وخطط "**التيار الحركي**" غير بادية للعيان، لذلك فقد رأينا أن التذكير بها أمر جدير بالاهتمام والتذكير والذكرى تنفع المؤمنين وليس من مقتضيات التذكير الغفلة، فربّ مذكّر أوعى ممن يذكره. وربّ مبلّغ أوعى من سامع.

أما المبحث الثالث: فقد حاولنا أن نلخص فيه قضية الكتيب المحاضرة . وأن نؤكد بعض النقاط الهامة التي وردت في المبحثين، ونسلط عليها مزيدا من الضوء. كذلك حاولنا أن نعطي بعض المؤشرات حول كيفية مراجعة "**الخطاب الحركي**" في

ضوء ما ذكرناه، وإعادة صياغة بعض جوانبه بحيث تعود عملية الالتحام بين الفصائل الإسلامية وبين قاعدتها العريضة في الأمة، ويدرك المعنيون في هذا الخطاب نبرة تجسير العلاقة بين التيار الإسلامي، وقوى وفصائل الأمة الأخرى لكيلا تبدد بقايا طاقات هذه الأمة في صراعاتها الداخلية، وعراكاتها الجانبية. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وهيأ لهذه الأمة أمر رشد.

obeikandl.com